مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

لقد حققت كتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» لأبي الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ على نسختين مخطوطتين (نسخة خزانة القرويين بفاس، ونسخة الخزانة الملكية بالرباط... بالمغرب) وقد صدر الكتاب عن مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م وهما اسمان لمسمى واحد.

وقد تبين لي مُؤخَّراً وجود مخطوطة أخرى من الكتاب في الإسكوريال بمدريد - بإسبانيا - وبعد حصولي على نسخة مصورة من هذه المخطوطة واطلاعي عليها، تبين لي وجود سقط في عدة مواضع بنسخة القرويين والخزانة الملكية، وكذلك وجود فروق في النسخ وأخطاء، كما أن الطبعة الأولى للكتاب حصلت فيها أخطاء مطبعية.

لذا رأيت من الواجب إعادة تحقيق الكتاب، وإضافة نسخة الإسكوريال إلى النسختين السابقتين، وإكمال النقص الحاصل فيها، من نسخة الإسكوريال وإثبات الفروق بين النسخ الثلاث، وتصحيح وتنقيح الطبعة الأولى وإعادة طبع الكتاب ثانية.

ونعتذر للقارئ الكريم عما وقع في الطبعة الأولى وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المحقق

عبد الله محمد الجبوري

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله أوضح طريق الهدى، وبيّن معالم الدين، ورفع شأن العلم، وأعلى درجة العلماء المستنبطين، ووفقهم للسداد واتباع سبل المرشدين، والصلاة والسلام على رسوله الذي رسم منهاج الحق وبيّنه لجميع المؤمنين، وعلى آله وأصحابه الهداة المهتدين.

وبعد:

فقد قَدِمْتُ إلى المغرب مُوفَداً للتَّدريس في الجامعات المغربية للعام الدراسي ١٩٨٢ ـ١٩٨٣م في إطار التعاون الثقافي بين العراق والقطر المغربي الشَّقيق. وبعد استقرار عملي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمِكناس، قصدت خزانة القرويين بفاس التي طالما تمَنّيت زيارتها. وكذلك الخزانة الملكية، والخزانة العامة بالرباط. وبحثت في فهارسها عن الكنوز والذخائر التي تركها لنا أعلام أُمّتِنا في شتَّى أنواع المعرفة، فاهتديت إلى مخطوط هام وهو «إحكام الفصول في أَحكام الأُصول» لأبي الوليد الباجي.

ولمّا كان هذا الكتاب في علم أصول الفقه الذي هو من أعظم العلوم الإسلامية وأخطرها، وأكثرها فائدة، لاشتمَاله على القواعد التي يُتَوَصَّلُ بها إلى استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلتها، وفي الأصول المقارن الذي لا زالت المكتبة الإسلامية بحاجة إلى المزيد من المصنفات فيه.

ومؤلفه أبو الوليد الباجي الذي كان من كبار علماء المالكية ومحققيهم الذي قيل فيه: «لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب إلّا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم».

وفي نشر هذا الكتاب إضافة معارف هامة في مجاله. قررت بعد الاتكال على الله القيام بتحقيقه وإخراجه ليعم نفعه.

وندعو الله أن يلهمنا الصواب، ويسدِّدَ خطانا، ويوفِّقَنا لخدمة الشريعة الغراء.

ولا يفوتني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدَّمَ بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور محمد العربي الخطابي محافظ الخزانة الملكية، والأستاذ عبد الرحمن الفاسي محافظ الخزانة العامة بالرباط لما لقيت منهما من مساعدة وتسهيل تصوير المخطوطتين، كما أشكر الأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ محافظ خزانة القرويين لمساعدتي في الاطلاع على المخطوطة كلّما دعتِ الحاجة إلى ذلك. وقد لمست فيه إخلاصاً للعلم، وتشجيعاً لنشره.

وكذلك أشكر جميع الإخوة الذين قدَّموا ليَ العون وأمدُّوني ببعض المصادر والمراجع. أحسن اللهُ جزاءَ الجميع. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الدكتور عبد الله محمد الجبوري

مقدّمة التحقيق

التعريف بالإمام الباجي

نسبه ونسبته:

هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث أبو الوليد التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي المالكي[١].

ولم تختلف كتب التاريخ والتراجم في نسبه وكنيته ونسبته.

والتّجيبي: نسبة إلى تجيب، بطن من كِنْدَة، وهو أشرس بن شبيب ابن السَّكون بن كندة. كانوا يسكنون في وسط حضرموت، وقدم وفد منهم إلى النبي ﷺ، فأكرم النبي عليه الصلاة والسلام منازِلَهم، وأجازهم بأرفع مما كان يجيز الوفود[٢].

أما الأندلسي: فنسبة إلى جزيرة الأندلس، وهي في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب، وجزء منها في الإقليم الخامس. وهي في ذاتها مثلثة الشكل يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث، واسم الأندلس في اللغة اليونانية (اشبانيا)، وهي أقاليم عدّة. وفي كل إقليم منها عدّة مدن وقرى وفضائلها جمّة، وفي أهلها أئمّة وعلماء وزهّاد لهم خصائص كثيرة.

---

(١) انظر ترجمته: «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٢، و«معجم الأدباء»: ١١/٢٤٧، و«الصلة»: ١/١٩٧، و«نفح الطيب»: ٢/٦٧، و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: ١ق ٢/٩٤، و«وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٨، و«صفة جزيرة الأندلس»: ٣٦، «النجوم الزاهرة»: ٥/٤٠٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٨/٥٣٥، و«تذكرة الحفاظ»: ٣/٣٤٩، و«العبر في خبر من غبر»: ٣/٢٨٠، و«بغية الملتمس»: ٣٠٣، و«اللباب»: ١/٨٢، و«البداية والنهاية»: ١٢/١٢٢، و«قلائد العقيان»: ١٩٦، و«الديباج المذهب»: ١٢٠، و«شذرات الذهب»: ٣/٣٤٤، و«طبقات المفسرين»: ١٣، «فوات الوفيات»: ٢/٦٤، و«المغرب في حلى المغرب»: ٤٠٤، و«كشف الظنون»: ١٩، و«شجرة النور»: ١٢٠، «معجم المؤلفين»: ٤/٢٦١، و«بروكلمان»: ١/٤١٩، و«الذيل»: ١/٧٤٣.

(٢) «اللباب»: ١/١٦٩، «معجم قبائل العرب»: ١/١١٦.

فتحها المسلمون سنة ٩١هـ بقيادة طارق بن زياد، وأقاموا فيها حضارة مزدهرة دامت قرابة ثمانية قرون، وكان لهذه الحضارة، بعلومها وفنونها أثرها في العالم الأوروبي وبقي العرب والمسلمون فيها إلى سقوط غرناطة آخر معقلٍ لهم سنة ٨٩٨هـ[١].

أما القرطبي: فنسبة إلى قرطبة، وقد نسب إليها؛ لأن أسرته انتقلت من باجة، وسكنت في قرطبة كما قال القاضي عياض وغيره.

وقرطبة مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، وبها كان ملوك بني أمية، وهي معدن الفضلاء، ومنبع النبلاء، وينسب إليها الكثير من العلماء[٢].

أما الباجي: فنسبة إلى باجة، وهي ثلاثة مواضع:

أحدها: باجة الأندلس، وهي مدينة من أقدم مدنها، بنيت في أيام الأقاصرة، وقد سمّاها بوليش القيصر باجة، ومعناها (الصلح). ولباجة معاقل موصوفة بالمَنَعَة والحصانة، وهي من الكور المجندة، وتقرب من إشبيلية[٣]، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ[٤]. وقد اتفقت كتب التاريخ والتراجم على نسبة أبي الوليد الباجي إلى باجة الأندلس هذه[٥].

---

(١) أنظر: «صفة جزيرة الأندلس»: ٥، و«معجم البلدان»: ١/٢٦٢، و«اللباب»: ١/٧١، و«غرناطه»: هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، ومعنى غرناطة بلسان عجم الأندلس (رمانة) سُمّيَ البلد بذلك لحسنه. «معجم البلدان»: ٤/١٩٥.

(٢) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٢، «معجم البلدان»: ٤/٣٢٤، «صفة جزيرة الأندلس»: ١٥٣.

(٣) وهي مدينة عظيمة بالأندلس، وكانت تسمّى حمص، وبها كان بنو عباد، وهي غرب قرطبة، «معجم البلدان»: ١/١٩٥.

(٤) وباجة تقع اليوم في البرتغال على بعد ١٤٠كلم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة. هامش «وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٩.

(٥) انظر «اللباب»: ١/٨٢، و«صفة جزيرة الأندلس»: ٣٦، و«ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٣، و«معجم البلدان»: ١/٣١٤، و«وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٩.

والثاني: باجة قرية من إفريقية على مرحلتين أو ثلاث من تونس، وينسب إليها أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي.

والثالث: قرية من قرى أصفهان من بلاد فارس تسمّى باجة، وينسب إليها أبو صالح محمد بن الحسن بن يوقة المديني الباجي، شيخ من أهل أصبهان، ت (٢٩٤هـ). وذكر ياقوت موضعين آخرين يطلق عليهما باجة[١].

مولده ونشأته:

ولد أبو الوليد الباجي بمدينة بطليوس[٢] في ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ. وعلى هذا عامة المصادر التي ترجمت له. قال أبو علي الغساني أحد تلاميذ الباجي: سمعت أبا الوليد يقول: مولدي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة[٣]. ونقل ابن بشكوال وابن خلكان أن مولده كان يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة من العام المذكور[٤].

وقد انتقلت أسرته من بطليوس إلى باجة الأندلس، ثم سكنت أسرته في قرطبة، وقد استقرَّ أبو الوليد بشرق الأندلس، وكان أكثر تردده بشرق الأندلس ما بين سرقسطة[٥]، وبلنسية[٦]، ومرسية[٧]، ودانية[٨].

---

(١) انظر: «اللباب»: ١/ ٨٢، و«معجم البلدان»: ١/ ٣١٤، و«الديباج المذهب»: ١٢٠.

(٢) بطليوس: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. «معجم البلدان»: ١/ ٤٤٧.

(٣) «الصلة» ١/ ١٩٨.

(٤) «الصلة»: ١/ ١٩٩، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٠٩.

(٥) سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تسطيلة. «معجم البلدان»: ٣/ ٢١٢.

(٦) بلنسية: كورة ومدينة بالأندلس متصلة بجوزة كورة تدمير، وهي تقع شرقي قرطبة، «معجم البلدان»: ١/ ٤٩٠.

(٧) مرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم. وسمّاها تدمير بتدمر الشام. «معجم البلدان»: ٥/ ١٠٧.

(٨) دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً، منها شيخ القرّاء أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني. «معجم البلدان»: ٢/ ٢٣٤.

أما عن نشأته الأولى، فقد ذكر القاضي عياض أن بيتَه بيتُ علم ونباهة، وكان له إخوة أجلّة نبلاء. وجدّه لأمه محمد بن موهب القبري الفقيه المتوفى (٤٠٠هـ)، وخاله أبو شاكر عبد الواحد بن محمد القبري الفقيه المحدث والأديب الشاعر.

وقد اتجه أبو الوليد إلى طلب العلم منذ نشأته الأولى. قال ابن بسام: إن أبا الوليد نشأ وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء.

وقد أخذ بالأندلس عن عدد من العلماء، وفي مقدمتهم خاله أبو شاكر التجيبي القبري المتوفى سنة (٤٥٦)، وأخذ عن أبي الأصبغ عيسى بن خلف بن عيسى، ويعرف بابن أبي درهم، وكان الباجي يحدث بكثير من روايته، وأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي المقرئ القيرواني الأندلسي القرطبي، ت (٤٣٧هـ). ومحمد بن إسمَاعيل بن محمد بن فورتش قاضي سرقسطة، وأبي سعيد خلف الجعفري الذي كان من أهل القرآن والعلم ت (٤٢٤هـ). والقاضي يونس بن محمد بن مغيث، وكان رأساً في الفقه واللغة العربية. ت (٤٢٩هـ)، وقيل غير ذلك.

وقد بدأ الباجي من العلوم بالأدب، فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته[١].

وبعد أن أخذ عن علماء بلده، تاقت نفسه للرحلة إلى المشرق للتزود بالعلم والمعارف، واهتم في رحلته في تحصيل العديد من العلوم، لاسيمَا علم الحديث والفقه والأصول وعلم الكلام. وكان في رحلته وأول عودته إلى الأندلس مُقِلّاً في دنياه، قانعاً عفيفاً، يعيش من عمله وكسب يده، فقد عمل حارساً مدّة مقامه ببغداد، ويستعين بما يتقاضاه من أجرٍ على نفقته وبضوء الدرب على المطالعة[٢]. وقد ذكر المَقَّرِي وغيره، أنه تولّى القضاء في الشام بحلب مدّة عام تقريباً.

وقد عاد إلى الأندلس بعد أن بلغ درجة علمية رفيعة، وقصده الناس للأخذ عنه، ولكن حالته المالية لا تزال ضيّقة، فكان تولّى ضرب ورق الذهب للغزل والأنزل

(١) «نفح الطيب»: ٢/٦٨.

(٢) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٤.

وبعقد الوثائق. ثم انتشر علمه، وكثُرت مؤلفاته، وسمت درجتُه، وعظُم جاهُه، وكثُرت أموالُه، وتولّى القضاء في عدّة مواضع من الأندلس.

قال القاضي عياض: حدّثني ثقة من أصحابه أنه كان يخرج إلينا إذا جئنا للقراءة عليه، وفي يده أثر المطرقة وصدأ العمل إلى أن فشا علمه وعرف وشهرت تواليفه، فعُرِفَ حقُّهُ، وجاءته الدنيا، وعظم جاهه، وقرَّبه الرؤساء وقدَّرُوه، واستعملوه في الأمانات والقضاء، وأجزلوا صلاته، فاتسعت حاله، وتوفر كسبه حتى مات عن مال وافر.

وكان يصحب الرؤساء، ويرسل بينهم، ويقبل جوائزهم، وهم له على غاية البر، ووَلِيَ مواضع من الأندلس[1]. وقد سعى بعد عودته من رحلته في الصلح بين ملوك الطوائف الذين وجدهم أحزاباً متفرقه، ولكنه لم يفلح في ذلك، فالله يجازيه خيراً على نيته[2].

(١) «ترتيب المدارك»: ٤/ ٨٠٤.

(٢) «نفح الطيب»: ٢/ ٧٧.

رحلته وأساتذته

ذكرنا مشاهير العلماء الذين أخذ عنهم الباجي في الأندلس، وقد رحل بعد ذلك إلى أهَمِّ مراكز العلم في المشرق، وكانت الرحلة من أهم مظاهر الحركة العلمية، وكان الأندلسيون يهتمون كثيراً بالرحلة إلى المشرق، لتحصيل العلوم، والتبحر فيها، والرجوع إلى الأندلس لنشر ذلك العلم بين أهله، وقد بلغ من إقبالهم على ذلك أن كان الشخص يُعابُ بأنَّه لم يرحلْ إلى المشرق.

وقد ذكر المَقَّرِي في كتابه «نفح الطيب» عدداً كبيراً من العلماء الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق للتزود بالعلم والمعرفة، ومنهم الإمام الباجي[1]، فقد رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦هـ ، وهو في ريعان شبابه وعمره لا يزيد عن ثلاث وعشرين سنة في سبيل طلب العلم، وقد استمَرّت هذه الرحلة ثلاثة عشر عاماً تقريباً، شمَّر فيها عن ساعد الجد والتحصيل، وكان لهذه الرحلة أثرها البالغ في تكوينه العلمي والمنزلة الرفيعة التي بلغها، فقد حاز فيها على علم كثير خصوصاً في الحديث والفقه والأصول والكلام. وأول ما اتجه في رحلته إلى مكة المكرمة قِبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم لأداء مناسك الحج، وللأخذ عن علمائها، ثم دخل بغداد، والموصل، والشام ومصر.

وقد أقام في مكة المكرمة مجاوراً ثلاثة أعوام، وحجّ أربع حجج، ولازم فيها الحافظ عبد بن أحمد بن محمد أبو ذر الهروي المحدث والفقيه المالكي ت (٤٣٥هـ)، يأخذ عنه، وكان يقيم معه، ويتصرف له في حوائجه، وكذلك أخذ فيها عن محمد بن علي بن أحمد بن أبي محمود الوراق الأزهري الأندلسي الذي كان مجاوراً في مكة. وأبي الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي ت (٤٤٣هـ)، وأبي بكر بن المطوعي وغيرهم. ثم رحل إلى بغداد التي كانت يومئذ موطن العلماء ومهد العلم، وقبلة أنظار طلبته من جميع الأقطار، وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه

---

(١) انظر: «نفح الطيب»: ٦/ ٥ وما بعدها.

والأصول، ويسمع الحديث عن أئمّتها، فلقي بها جلة من العلماء والفقهاء، ومن أشهر مَنْ أخذ عنه في بغداد:

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، ت (٤٤٦هـ)، وكان من أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم وتأثّر بهم ونقل الكثير من آرائه الأصولية في كتابه هذا.

وطاهر بن عبد الله بن طاهر القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي، ت(٤٥٠هـ).

ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمروس البغدادي إمام المالكية وفقيههم، ت (٤٥٢هـ).

ومحمد بن علي بن محمد الحنفي أبو عبد الله الدامغاني قاضي القضاة، ت(٤٧٨هـ).

والحسن بن علي الصيمري أبو عبد الله القاضي أحد فقهاء الحنفية المشهورين، ت(٤٣٦هـ).

والحافظ محمد بن علي أبو عبد الله الصوري الذي كان أعظم أهل الحديث، ت (٤٤١هـ).

ومحمد بن علي بن الفتح الحربي أبو طالب العشاري الفقيه الحنبلي، ت (٤٥١هـ).

ومحمد بن محمد بن عثمان البغدادي أبو منصور السواق، ت (٤٤٠هـ).

ومحمد بن عبد الواحد بن زوج الحرة أبو الحسن، ت (٤٤٢هـ).

وأحمد بن محمد بن أحمد بن منصور العتيقي أحد الثقات المكثرين من الحديث، ت(٤٤١هـ).

وغيلان بن محمد بن إبراهيم بن غيلان أبو طالب الهمداني البغدادي مُسنِد العراق، ت(٤٤٠هـ).

وعلي بن المحسن بن علي البغدادي أبو القاسم التنوخي الذي كان من أعيان العلم والأدب، ت (٤٤٣هـ).

ومحمد بن المؤمل البغدادي أبو بكر غلام الأبهري.

والحافظ أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، وقد روى الخطيب البغدادي عن الباجي أيضاً، ت (٤٦٣هـ).

ثم دخل الموصل، وأقام بها سنة يدرس علم الكلام على محمد بن أحمد بن محمد القاضي أبو جعفر السحناني، ت (٤٤٤هـ).

ورحل إلى الشام، ودخل دمشق وحلب، ومن أشهر من أخذ عنه بدمشق:

علي بن موسى أبو الحسن بن السمار الدمشقي الذي انتهى إليه علو الإسناد بالشام، ت (٤٣٣هـ).

وعبد الرحمن بن عبد العزيز بن الطبيز أبو القاسم الدمشقي، ت (٤٣١هـ).

وأبو الحسين بن جميع الغساني.

ثم رحل بعد ذلك إلى مصر. ومن أشهر من أخذ عنه فيها: عبد الله بن الوليد بن سعيد الأنصاري الأندلسي الفقيه المالكي.

وهكذا فقد أخذ عن علماء المذاهب الإسلامية (المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنابلة)، وتجمَّع له علم العديد من البلاد، وسمع الكثير، وبَرع في الحديث والفقه والأصول والنظر، وعاد إلى وطنه بعلم جَمٍّ، وأصبحت له مكانة وقدر رفيع بالمشرق والمغرب[١].

قال ابن العربي: كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي[٢].

تلاميذه:

لقد بلغ الباجي مكانه علمية رفيعة ممّا جعل الكثير من أهل المشرق يأخذون عنه، وممن روى عنه حافظ المشرق الخطيب البغدادي.

---

(١) انظر في رحلة الباجي إلى المشرق: «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٢، و«نفح الطيب»: ٢/٦٧، و«وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٨، و«الصلة»: ١/١٩٧، و«الديباج»: ١٢٠، و«شذرات الذهب»: ٣/٣٤٤.

(٢) «نفح الطيب»: ٢/٢٩.

أما في الأندلس، فقد حاز على الرئاسة العلمية فيها، فأخذ عنه. وسمع من جماعة، وتفقه عليه خَلْقٌ كثير، وقد روى عنه حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي، ت (٤٦٣هـ).

ورواية حافظا المشرق والمغرب عنه شهادة له بما هو أهله.

ولكثرة الرواة عنه والمتفقهين عليه سنقتصر على ذكر أشهرهم، وهم: أحمد بن علي بن غزلون الأموي وهو معدودٌ من كبار أصحابه، ت (٥٢٠هـ).

وسفيان بن العاص الأندلسي أبو بحر الأسدي محدِّث قرطبة، ت(٥٢٠هـ).

والحسين بن محمد الجياني أبو علي الغساني أحد أركان الحديث بقرطبة، ت (٤٩٨هـ).

وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الخشني أبو محمد بن أبي جعفر الفقيه، ت(٥٢٠هـ).

وعبد الله بن أبي جعفر المرسي أبو محمد المالكي الذي انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره، ت (٥٢٦هـ).

وعلي بن عبد الله بن محمد بن موهب الحذامي، وقد أجاز له أبو الوليد الباجي وابن عبد البر ما رويا، ت (٥٣٢هـ).

ومحمد بن نصر بن فتوح أبو عبد الله الحُمَيْدِي مؤلف «الجمع بين الصحيحين»، ت(٤٨٨هـ).

ومحمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي المالكي أبو بكر الطرطوشي، ت (٥٢٠هـ)[1].

والقاضي محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير الأنصاري الذي اختص بأبي الوليد الباجي، ت (٥١٨هـ).

---

(١) انظر في تلاميذه المصادر السابقة.

وحسين بن محمد بن جيون الصدفي أبو علي بن سكرة، ت (٥١٤هـ).

وممن روى عنه أيضاً ابنه أحمد بن سليمان الباجي أبو القاسم، وكان إماماً في العلوم، فقيهاً أصولياً مع الفضل والدين، تفقّه على أبيه، وأذِنَ له في إصلاح كتبه، وخَلَفَه في حلقته بعد وفاته. توفي بجدة بعد منصرفه من الحج سنة (٤٩٣هـ).

وللباجي ولد آخر اسمه أبو الحسن محمد توفي في حياة أبيه بسرقسطة، وكان نبيلاً ذكيًا مَرْجُوّاً وقد رثاه أبوه مراثي شجيَّةً سيأتي ذكر بعضها عند الكلام عن شعره[١].

مكانته العلمية:

لقد منح الله الباجي ذكاءً مُتَّقِداً، وقريحة جيّدة، وقد أخلص لطلب العلم، وضحّى وصبر في سبيل تحصِيلِهِ، فنال منه ما حَلَّ به قدره في المشرق، وحاز به الرئاسة بالأندلس. فكان رحمه الله ذا معارف واسعة وعلوم متنوعة، كان فقيهاً مُتْقِناً، ونَظَّاراً محققاً، وأُصولياً بارِعاً، ومتكلِّماً متقناً، ومُفَسِّراً وأديباً وشاعراً، وما غُبِرَ عليه من مصنفاته خير شاهد على ذلك.

وقد اتّفق العلماء على جلالته، وعلمه وفضله ودينه. وإليك أقوالَ بعضهم:

قال الأمير أبو نصر بن ماكولا في حقه: إنه فقيه متكلم أديب شاعر[٢].

وقال الحافظ أبو علي الصدفي عندما سئل عن الباجي هو أحد أئمّة المسلمين، لا يسأل عن مثله، ما رأيت مثله[٣].

وقال القاضي عياض: كان أبو الوليد فقيهاً نظاراً محققاً راوية محدثاً، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متقن المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها الفقه وإتقانه على طريق النظار من البغداديين وحذّاق القرويين،

---

(١) انظر «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٥، و«الديباج المذهب»: ٤٠، و«شجرة النور»: ١٢١.

(٢) «نفح الطيب»: ٢/٦٧.

(٣) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٤.

والقيام بالمعنى والتأويل، وكان وقوراً بَهِيّاً مَهيباً جَيِّدَ القريحة حسنَ الشَّارَةِ، ولم يكن بالأندلس قط أتقن منه للمذهب[١].

وقال ياقوت: أبو الوليد الفقيه المتكلم المفسِّر الأديب الشاعر[٢].

وقال ابن خلكان: كان الباجي من علماء الأندلس وحفاظها[٣].

وقال ابن كثير: هو ـ أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث[٤].

وقال السيوطي: أبو الوليد الباجي الفقيه الأُصولي المتكلم المُفَسِّر الأديب الشاعر[٥].

وقال علي بن سكرة: ما رأيت مثله، وما رأيت على سمْتِه وهيئته وتوقير مجلِسِه، وقال: هو أحد أئمّة المسلمين.

ولمّا كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم، فسِرْتُ معه إلى شيخنا قاضي القضاة أبو بكر الشاشي، فقلت له: أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الأندلس، فقال لعلَّه ابن الباجي؟ فقلت: نعم، فأقبل عليه[٦].

وكان شيوخ القاضي عياض يثنون عليه كثيراً ويفضلونه ويفضلون كتبه[٧].

وقال فيه ابن حزم الأندلسي مع ما جرى بينهما من مناظرات ومجالس: «لم يكن للمالكية بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد رحمه الله»[٨].

---

(١) المصدر السابق: ٤/٨٠٥.

(٢) «معجم الأدباء»: ١١/٢٤٦.

(٣) «وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٨.

(٤) «البداية النهاية»: ١٢/١١٢.

(٥) «طبقات المفسرين»: ١٣.

(٦) «الصلة»: ١/١٩٧، و«نفح الطيب»: ٢/٦٧.

(٧) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٤.

(٨) المصدر السابق: ٤/٨٠٣.

وقد ذكر القاضي عياض والمَقَّري: أنه لما قدم أبو الوليد الباجي الأندلس، وجد لابن حزم الظاهري صِيتاً عالياً، ولطلاوة كلامه قد أمالَ إليه كثيراً من الناس، ورأى أنَّ أهلَ الأندلس ليس منهم من هو في قوة جدله وحجته، ولم يكن يقوم أحد بمناظرته، وأخبره الأندلسيون في ذلك، فتصدّى الباجي لمناظرة ابن حزم، وكان له معه مجالس ومناظرات ظهر فيها تفوق الباجي مما جعل ابن حزم يخرج من مدينة مَيُورْقَة[1] وقد كان على رأس أهلها[2].

شعره:

مع براعة أبي الوليد الباجي بالفقه والأصول والحديث والكلام، فقد كان بارعاً بالأدب شغفاً بالشعر، وقد برع فيه قبل أن يتّجه إلى دراسة العلوم الأخرى، وقد جمع ابنه أبو القاسم شعره، وأورد ابن بسام وياقوت والمقري وغيرهم جملةً من أشعاره التي قالها في أوصاف ومناسبات شتّى[3]، منها:

ما رُوِيَ عن أبي بكر الخطيب البغدادي، قال: أنشدني أبو الوليد سليمان بن خلف لنفسه:

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً ... بأنَّ جميع حياتي كساعة
فَلِمْ لا أكونُ ضنيناً بها ... وأجعلها في صلاح وطاعة

وقال الباجي وهو يرثي ابنيه وقد ماتا مغتربين:

رعى اللهُ قبرين استكانا ببلْدَة ... هما أسكناها في السَّواد مِنَ القلبِ

---

(١) مَيُورْقَة جزيرة في شرقي الأندلس، فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ. كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، وينسب إليها كثير من العلماء. «معجم البلدان»: ٥/٢٤٦، «صفة جزيرة الأندلس»: ١٨٨.

(٢) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٥، «نفح الطيب»: ٢/٨٣.

(٣) انظر في أشعاره هذه: «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: ١ ق ٢/٩٤، «معجم الأدباء»: ١١/٢٤٩، «نفح الطيب»: ٢/٧٤، «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٧.

لئن غُيِّبا عن ناظِري وتبَّوءا ... فوادي لقد زاد التباعدُ في القرب
يقر بعيني أن أزورَ ثراهما ... وَأُلصقَ مكنون الترائبِ بالتُّرْبِ
وأبكي وأُبكى ساكِنَيْها لَعَلَّني ... سأُنْجَدُ من صَحْبٍ وأُسْعَدُ من سحبِ
فما ساعَدَتْ وُرقُ الحمام أخا أسى ... ولا رَوَّحَتْ ريحُ الصَّبا عن أخي كرب
ولا استَعْذَبَتْ عيناي بعدَهُما كرًى ... ولا ظَمِئَتْ نفسي إلى البارِدِ العذْبِ
أحِنُّ ويثْني اليأسُ نفسي عن الأسى ... كما اضطُرَّ محمولٌ على المركبِ الصَّعْبِ

وقال وهو يرثي ابنه محمداً:

أَمحمدٌ إن كنتُ بعدَك صابراً ... صبْرَ السَّليمِ لما بِهِ لا يسلمُ
وَرُزِئْتُ قبلك بالنَّبيِّ محمَّدٍ ... ولَرزؤه أدهى لديَّ وأعظمُ
فلقد علمتُ بأنني بكَ لاحقٌ ... من بعد ظنِّي أنني متقدِّمُ
لله ذِكرٌ لا يزالُ بخاطري ... متصرِّفٌ في صفْوِهِ مُتَحَكِّمُ
فإذا نظرتُ فشخصُهُ مُتَخَيَّلٌ ... وإذا أصختُ فصوتُهُ مُتَوَهَّمُ
وبكلِّ أرْضٍ لي منَ اجلكَ لوعةٌ ... وبكل قبرٍ وقعةٌ وتلُّومُ
فإذا دعوت سواكَ حادٍ عن اسْمِهِ ... ودعاهُ باسمِكَ مِقْوَلٌ بكَ مُغْرَمُ
حُكْمُ الرَّدَى ومناهجٌ قد سنَّها ... لأُولي النُّهَى والحُزْنُ قَبْلُ مُتَمِّمُ

ومن نظمه أيضاً قوله:

ما طالَ عهدي بالدِّيارِ وإنَّما ... أنسى معاهدها أسىً وتبَلدُ
لو كنتُ أَنْبَأْتُ الدِّيارَ صبابتي ... رقَّ الصفا بفنائِها والجَلْمَدُ

ومن جيد نظمه أيضاً قوله:

أسروا على الليلِ البَهيمِ سُراهُمُ ... فَنَمَّت عليه في الشَّمالِ شمائِلُ
متى نزلوا ثاوينَ بالخيفِ مِنْ مِنى ... بدتْ لِلْهوَى بالمأزَمَيْنِ مخايلُ

فللَّهِ ما ضَمَّتْ مِنًى وشعابُها ... وما ضَمَّتْ تِلكَ الرُّبى والمنازلُ
ولما التقينا للجمارِ وأُبرِزَتْ ... أَكُفٌّ لِتَقْبيلِ الحَصَى وأنامِلُ
أشارَتْ إلينا بالغَرامِ محاجرٌ ... وباحَتْ بِهِ مِنَّا جسومٌ نواحِلُ

وله في معنى الحمد والشكر:

الحمد لله ذي الآلاء والنِّعَمِ ... ومُبْدِعُ السَّمْعِ والأبْصارِ والكَلِمِ
مَنْ يحْمَدِ اللهَ يأتيهِ المزيدُ ومَنْ ... يكْفُرْ فكمْ نِعَمٍ آلتْ إلى نِقَمِ

ومن نظمه أيضاً:

الحمد للهِ حَمْدَ مُعْترِفٍ ... بأنَّ نُعماهُ ليسَ نُحْصيها
وأنَّ ما بالعِبادِ مِنْ نِعَمٍ ... فإنَّ مولى الأنامِ مُوليها
وإنَّ شُكْري لِبَعْضِ أنْعُمِهِ ... مِنْ خيرِ ما نعمةٍ يُواليها

ومن نظمه في معنى السفر:

إن كنتَ ربي في طريقي صاحباً ... وتخلُفُني في الأهلِ ما دُمْتُ غائِباً
فَسَهِّل سبيلي وازْوِ عَنِّي شرَّها ... وشرَّ الذي ألقاهُ في الأهلِ آيباً

ومن نظمه في قيام الليل:

قد أفلح القانِتُ في جُنَحِ الدُّجَى ... يتلو الكتابَ العربيَّ النَّيِّرا
فقائِماً وراكعاً وساجداً ... مُبْتَهِلاً مُسْتَغْبِراً مُسْتَغفِرا
له حنينٌ وشهيقٌ وبُكا ... يَبُلُّ مِنْ أدْمُعِهِ تُرْبَ الثَّرَى
إنَّا لسَفْرٌ نبتغي نَيْلَ المَدَى ... ففي السُّرَى بُغيَتُنا لا في الكَرى
من ينصَبِ اللَّيْلَ ينلْ راحَتَهُ ... عِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى

ومن نظمه أيضاً:

تبلَّغ إلى الدُّنيا بأيْسَرِ زادِ ... فإنَّكَ عَنَّا راحلٌ لِمَعادِ

وغُضَّ عَنِ الدُّنْيا وزُخرُفَ أهْلِها ... جُفُوْنَكَ وأكحلها بطولِ سُهادِ
وجاهِدْ عَنِ اللَّذَّاتِ نَفْسَكَ جاهِداً ... فإنَّ جهادَالنَّفْسِ خير جهادِ
فما هذِهِ الدُّنْيا بدارِ إقامةٍ ... فَيُعْتَدُّ في أغراضها بعنادِ
وما هي إلّا دارُ لهوٍ وفتنَةٍ ... وإنّ قُصارى أهْلِها لِنَفادِ

ومن نظمه أيضاً:

مضى زَمَنُ المكارِمِ والكِرامِ ... سقاهُ اللهُ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ
وكانَ البِرُّ فعلاً دونَ قولٍ ... فصارَ البرُّ نُطْقاً بالكَلامِ

رحم اللهُ أبا الوليد الباجي، قال ذك عن زمانه، فماذا نقول نحن عن زماننا هذا؟

وفاته:

اتفقت كتب التاريخ والتراجم التي أمكننا الاطلاع عليها على أنَّ الباجي توفي بالمرية[1] سنة(٤٧٤هـ)، إلّا أنها اختلفت في الشهر واليوم الذي توفي فيه من نفس العام.

فقد ذهب الأكثرون[2] إلى أنه توفي ليلة الخميس ١٩، وقيل: ١٧ رجب، ودفن بالرباط[3] يوم الخميس بعد صلاة العصر، وصلّى عليه ابنه أبو القاسم أحمد بن سليمَان.

ونقل المقري رواية ضعيفة تقول: إنه توفي في ٩ صفر[4]، والرواية الأولى هي الراجحة؛ لأنها رواية الأكثر، ولأن ابن بشكوال نقلها عن شيخه القاضي محمد بن أبي الخير أحد تلاميذ الباجي، فقال: قرأت بخط القاضي محمد بن أبي الخير شيخنا رحمه الله، قال: توفي القاضي أبو الوليد رحمه الله بالمرِيَّة ليلة الخميس بين

---

(١) المرية: هي مدينة كبيرة من أعمال الأندلس، وهي إحدى أبواب الشرق، منها يركب التجار، وفيها تَحِلُّ مراكبهم، وفيها مرفأ ومراسي للسفن والمراكب، يضرب البحر سورَها. وهي غير مرية بكش التي كان يُرْكَبُ من مرساها إلى بلاد البربر. «معجم البلدان»: ١١٩/٥.

(٢) «وفيات الأعيان»: ٤٠٩/٢، «ترتيب المدارك»: ٨٠٦/٤، «نفح الطيب»: ٧٦/٢، «الديباج المذهب»: ١٢٢، «طبقات المفسّرين»: ١٣، «شذرات الذهب»: ٣٤٤/٣، «الصِّلة»: ١٩٩/١.

(٣) الرباط: هو اسم موضع بالمرية كان يرابط به المجاهدون، «صفة جزيرة الأندلس»: ١٨٣.

(٤) «نفح الطيب»: ٧٦/٢.

العشاءين، وهي ليلة تسعة عشرخالية من رجب، ودُفن يوم الخميس بعد صلاة العصر سنة٤٧٤ هـ ، ودفن بالرباط على ضفة البحر، وصلى عليه ابنه أبو القاسم[١].

وكان سبب مجيئه إلى المرية هو العمل على التأليف بين رؤساء الأندلس على نُصْرَةِ الإسلام وجمع كلمتهم مع ملوك المغرب المرابطين، فتوفي قبل أن يُتِمَّ مهمَّتَه.

قال القاضي عياض: جاء - أبو الوليد - إلى المرية سفيراً بين رؤساء الأندلس يؤلِّفهم على نصرةِ الإسلام، ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملوك المغرب المرابطين، فتوفي قبل تمام غرضه رحمه الله[٢].

مؤلفاته:

ألَّفَ أبو الوليد الباجي تصانيف كثيرة في أنواع مختلفة في العلوم. قال ابن خلكان وغيره: وصنَّف كُتُباً كثيرة.

فقد ألَّفَ في الحديث وعِلَلِه ورجاله، والفقه وخلافه وأصوله، وعلم الكلام والتفسير وغيرها من العلوم.

ومن أهمِّ ما وُفِّقنا على ذكره من مُؤَلَّفاتِه[٣]:

١- الاستيفاء في شرح الموطأ. قال القاضي عياض: بلغ فيه الغاية، ولم يضع مثله.

٢- المنتقى شرح الموطأ. وهو مختصر كتاب «الاستيفاء»، وهو أفضل كتاب أُلِّفَ على مذهب الإمام مالك، وهو مطبوع ومتداول.

---

(١) «الصلة»: ١/١٩٨.

(٢) «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٨.

(٣) اعتمدنا في تخريج كتبه على «ترتيب المدارك»: ٤/٨٠٦، و«معجم الأدباء»: ١١/٢٤٨، و«وفيات الأعيان»: ٢/٤٠٩، و«نفح الطيب»: ٢/٦٩، و«البداية والنهاية»: ١٢/١٢٢، و«طبقات المفسرين»: ١٤، و«الديباج المذهب»: ١٢١، و«شجرة النور»: ١٢١، و«كشف الظنون»: ١٩، ٤١٩، ١٩٠٧، و«إيضاح المكنون»: ١/٤٨ و٧١، ٧٤، ٢٢٥، ٢٦٩، ٢٨٥، ٣٠٣، ٥٥٨، و٢/٢٩، ١٩٣، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٨٩، ٢٣٣، ٦٠٦، و«بروكلمان»: ١/٤١٩، و«الذيل»: ١/٧٤٣.

٣- الإيحاء مختصر المنتقى. وهو قدر ربع المنتقى.

٤- اختلاف الموطآت.

٥- المعاني في شرح الموطأ، عشرون مجلداً. وربما يكون هو كتاب الاستيفاء أو كتاباً آخر غيره.

٦- التعديل والتجريح لمن خَرَّجَ عنه البخاري في الصحيح.

٧- مختصر مشكل الآثار.

وهو اختصار لمشكل الآثار للطحاوي، وقد لخص مختصر الباجي القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي في كتاب أسماه «المُعْتَصَر من المختصر من مشكل الآثار»، وقد طُبع كتاب «المعتصر» بحيدر آباد الدكن بالهند طبعة ثانية سنة ١٣٦٣هـ، وقامت بتصويره بالأفست عالم الكتاب ببيروت.

٨- تفسير القرآن لم يكمله.

٩- الناسخ والمنسوخ. لم يتمّه.

١٠- التسديد إلى معرفة التوحيد. وقد أحال إليه في موضعين من كتاب إحكام الفصول.

١١- إحكام الفصول في أحكام الأصول كتابنا هذا الذي نقدمه اليوم للقرّاء مُحَقَّقاً بفضل الله تعالى، وسنفصل القول عنه بعد الانتهاء من ذكر مؤلفاته.

١٢- كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج. طبع بباريس بتَحقيق عبد المجيد تركي، وقد ألَّفه بعد «إحكام الفصول» وقد أحال إليه في عدّة مواضع.

١٣- كتاب الإشارات في الأصول. وهو مطبوع بتونس سنة ١٣٤٤هـ.

١٤- كتاب الحدود في الأصول. طبع بتحقيق الدكتور نزيه حمّاد، الناشر مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، وسوريا ـ حمص.

١٥- السراج في مسائل الخلاف، وهو كتاب كبير لم يتمه.

١٦- المهذب في اختصار المدونة.

١٧- شرح المدونة.

١٨- مختصر المختصر في مسائل المدونة.

١٩- فصول الأحكام وبيان ما مضى به العمل عند الفقهاء والحكام.

٢٠- فرق الفقهاء.

٢١- المقتبس من علم مالك بن أنس. لم يتمّه.

٢٢- مسألة مسح الرأس. وقد أشار إليه في كتابه هذا.

٢٣- مسألة غسل الرجلين.

٢٤- مسألة اختلاف الزوجين في الصداق.

٢٥- تخريج غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة.

٢٦- السنن في الرقائق والزهد.

٢٧- سنن الصالحين وسنن العابدين.

٢٨- التبيين لمسائل المهتدين.

٢٩- تهذيب الزاهد لابن الأنباري.

٣٠- الأنصار لأعراض الأئمةِ الأخيار.

٣١- رسالة بتحقيق المذهب.

٣٢- كتاب النصيحة لولده.

كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول

لم تختلف كتب التاريخ والتراجم في اسم هذا الكتاب، ولا في نسبته لأبي الوليد الباجي، وقد ورد بهذا الاسم في النسخ الثلاث المعتمدة في التحقيق. وقد ذكره الباجي وأحال إليه باسمه هذا في تسعة مواضع في كتابه المنهاج، كما أحال إليه في مواضع أخرى.

ولمؤلفات الباجي أهمية وتفضيل على غيرها عند أهل العلم. فقد نقل القاضي عياض عن شيوخه أنهم كانوا يفضِّلون الباجي، ويفضلون كتبه.

وإذا كان كتابه (المنتقى) من أفضل كتب المالكية في بابه، فإن كتابه «إحكام الفصول في أحكام الأصول» من أفضل كتبه الأصولية، ومن الكتب الهامة جداً في هذا العلم، ومن المراجع الأساسية في الأصول المقارن بل من أهمها؛ لتركيزه على المسائل الخلافية. وقد أورد فيه الكثير من آراء العلماء الذين سبقوه أو عاصروه، من المالكية والشافعية والحنفية، وأحياناً الحنابلة والظاهرية والفرق الإسلامية. مُعَزَزَةً بأدلتها وحُجَجِها، ومناقشة تلك الحجج، مضافاً إليها آراؤه واختياراته، ومع حرص أبي الوليد الباجي على إبراز أقوال علماء المالكية ومذاهبهم في هذا الكتاب، إلّا أنه لم يتقيد بآرائهم، بل كثيراً ما يخالِفُهم، وأحياناً ينفردُ بآراء يخالف فيها جمهور الأصوليين، كما في مسألة القياس على حكم ثبت بالقياس، وتعليق الحكم بالغاية، وغير ذلك.

وكان في عرضه لمسائل الكتاب مثالاً للعالم المتبحر، والفقيه المجتهد، والأصولي المحقق، والباحث المدقق.

وتظهر في بعض المواضع آثار تأثُّره بمنهج كبير أساتذته أبي إسحاق الشيرازي. إلّا أن ذلك لم يؤثِّرْ على منهجه الخاص المستقل، الغَني بالإبداع والإضافة، وقد توسط في منهجه، فابتعد عن الطويل المُمِلِّ، والاختصار المخلِّ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب، فقال: «فقد سألتني أن أجمع لك كتاباً في أصول الفقه يُجْمِلُ أقوال

المالكيين، ويحيط بمشهور مذاهبهم، وبمَا يعزى من ذلك إلى مالك رحمه الله، وبيان حجة كل طائفة، ونصرة الحق الذي أذهب إليه، وأُعَوِّلُ في الاستدلال عليه، مع الابتعاد عن التطويل المضْجِرِ، والاختصار المُجْحِفِ، فأجبت سؤالك امتثالاً لأمره تعالى بالتّبْيين للناس، وكشف الشبه والإلباس».

وقد قسَّم الإمام كتابه هذا إلى أبواب وفصول ومسائل، وابتدأه بفصلين مهمّين:

أولهما: في بيان الحدود التي يُحتاجُ إليهافي معرفة الأصول،فوضَّح فيه المصطلحات المستعملة في هذا العلم، واستغنى بذلك عن ذكرها في أماكن متفرقة من الكتاب،وسهّل على القارئ الإحاطة بها.

وثانيهما: في بيان الحروف اللّغوية التي تدور بين المتناظرين، وتشتدّ الحاجة في الفقه إلى معرفتها، وتناول مواضع كل حرف من هذه الحروف التي لها علاقة في استنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها.

ثم تكلّم في الباب الأول عن أدلّة الشرع وما يتعلّق بها، وقسّمها إلى ثلاثة أقسام: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال. وتناول في الأصل الكلام عن الكتاب والسنّة والإجماع وما يتعلّق بها من مباحث. وفي معقول الأصل: تكلم عن لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، والحَصْر، ومعنى الخطاب (القياس)، وتوسّع كثيراً في الكلام عن القياس، وتناول معه الكلام عن الاستحسان والمنع من الذرائع.

وتكلّم بعد ذلك عن استصحاب الحال، وختم كتابه في الكلام عن أحكام الاجتهاد، وما يقع به الترجيح في الأخبار.

وقد عرض كل ذلك بأسلوب سلسٍ بعيد عن التعقيد والغموض ومستوفى، وتظهر للقارئ خصائص أسلوبه ومميزاته عند مراجعته لأي موضوع من موضوعات الكتاب.

وكتابه هذا يختلف عن كتابه «المنهاج في ترتيب الحجاج» الذي وضعه في الجدل وأقسامه وضروب أسئلته، وأنواع أجوبته كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وهو ما يوحي به عنوانه.

النسخ المعتمدة في التحقيق وأوصافها

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب في الطبعة الثانية على ثلاث نسخ: رمزت لها: الأصل، م، س

أولاً: نسخة الأصل:

هي النسخة المحفوظة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم (٦٢١)، ويوجد منها صورة ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٤١٨). ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٨١هـ، وناسخها محمد بن أحمد بن أرقم النّميري، وورد في آخرها ما نصّه:

(كَمُلَ كتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» للقاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله بتيسير الله تعالى وحسن عونه في عَشي يوم الخميس التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر عام أحد وثمَانين وستمَائة على يد العبد الفقير لربه المعترف بذنبه محمد بن أحمد ابن محمد بن أرقم النّميري، وفَّقَه الله وتاب عليه، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الطّيبين وسلّم أفضل التسليم اهـ).

وعدد أوراقها ١١٧ ورقة، ومسطرتها (٢٧)، ومعدّل كلمات السطر ما بين (١٦ ـ١٧) كلمة، وطول الورقة من أصل الكتاب (٢٧)سم، وعرضها (١٩) سم، وخَطُّها أندلسي جيّد، وقد كُتِبَت بدقة وإتقان في كاغَدٍ متين، وضُبِطَتْ كلماتُها بالشَّكْلِ، وفيها خُرومٌ، وقد جرى إصلاح أوراقها مُؤَخَّراً، وكُتِبَتْ بعضُ كلماتها على غير قواعد الرسم التي يكتُبُ بها المتأخرون. وكتب على الصفحة الأولى منها اسم الكتاب بعنوانه المذكور، واسم مؤلفه.

وورد في أول ورقة منها وثيقة تحبيس من قِبَل سيدي أحمد الزرقان على خزانة الأندلس عام (٩٤١) هـ تاسع الحجّة.

ثانياً: نسخة (م):

وهي نسخة الخزانة الملكية بالرباط بالمغرب المحفوظة تحت رقم (٩٧٦)، ويوجد منها صورة ميكرو فيلم بالخزانة العامة رقم (١٤١٧). ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة

١١٢٤هـ ، وناسخها: عبد الله بن محمد بن عبد الجبار السجلماسي الأزلماطي، وقد ورد في آخرها ما صورته:

(كَمُلَ كتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» للقاضي أبو الوليد الباجي رحمه الله بتيسير الله وحسن عونه في عشي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر الله صفر الخير عام أربعة وعشرين ومائة وألف على يد العبد الفقير لرحمة ربّه عبد الله بن محمد ابن عبد الجبار السجلماسي الأزلماطي كان الله في عونه، وتاب عليه...).

وعدد أوراقها ١٢٠ورقة، ومسطرتها (٢٤)، وعدد كلمات السطر ما بين (١٥و١٦) كلمة، وطول الورقة من أصل الكتاب (٢٥) سم والعرض (١٨)سم. وخطّها مغربي جيّد وواضح، وضُبِطَتْ بعض كلماتها بالشَّكل، وكُتِبت الأبواب والفصول والمسائل بخط بارز وبمِداد أحمر، وأصاب التلاشي أطراف أوراقها، وقد وقع خطأ في ترتيب بعض صفحاتها من ٥ إلى ١٢ فقُدِّمَتْ بعض الصفحات خطأ على بعض، والظاهر أن الخطأ وقع في التجليد.

وقد كتبت بعض كلماتها على غير قواعد الرسم التي يكتب بها المتأخرون، وجرى الناسخ على كتابة الصلاة على النبي ﷺ على طريقة العلماء المتقدمين هكذا ﷺ، والمتأخرون يرون ضرورة المحافظة على كتابة الصلاة والتسليم، ولا يلزم الناسخ التقيد بالأصل إذا لم توجد فيه. وكذلك جرى على قسمة الكلمة الواحدة في سطرين إذا لم يسعها آخر السطر.

وقد وقعت أخطاء متعددة في بعض كلماتها، كما وقع سقط في بعض عباراتها.

ثالثاً: نسخة (س)

وهي نسخة الإسكوريال بمدريد ـ بإسبانيا.

وتقع هذه في (١٠٠) ورقة، وصفحة واحدة، ومسطرتها (٣٣) ومعدل كلمات السطر ما بين (١٢و١٦) كلمة.

وقد أبرز الناسخ رؤوس الأبواب والفصول والمسائل بحرف أكبر حجماً من بقية الحروف.

والنسخة سليمة في الجملة من الرطوبة والسوس، وفيها سقط قليل في باب القياس، وباب الاجتهاد، وفي آخر النسخة، وكذلك توجد فيها بعض الأخطاء.

وتحمل صفحة الغلاف عنوان الكتاب، ومن جهة اليمين (تمليك عبد الله زيدان أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، بن أمير المؤمنين الحسين أصلح الله حاله).

وقد كتب تحت عنوان الكتاب (لكاتبه أحمد بن محمد الأنصاري غفر الله ذنبه)، ثم كتب بخط مغاير (ثم صار لابنه محمد رحمه الله).

ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ لوجود سقط في آخر المخطوطة.

وقد جعلت نسخة القرويين أصلاً؛ لأنها أقدم نَسْخاً، فقد كتبت سنة٦٨١هـ كما ذكرنا، ونسخة الخزانة الملكية كُتبت في عصر متأخر. ولأنها كتبت بدقةٍ وعناية أكثر من نسخة الخزانة الملكية، وقد استعنت بنسخة الخزانة الملكية لحل بعض رموز نسخة الأصل، ولا أستبعد وجود علاقة بين النسختين لوجود تشابه في الإشكالات بينهما أحياناً، ولعلّ ذلك من جهة الأصل المعتمد في النسختين أو غير ذلك.

وكذلك بنسخة الإسكوريال التي لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ وفيها سقط وأخطاء ولكنها مهمة لإكمال السقط الوارد في نسخة الأصل و(م) وتصحيح الأخطاء وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب والتي اعتمدت فيها على نسخة القرويين والخزانة الملكية في المغرب.

ولحصولي على نسخة الإسكوريال، فقد أعدت تحقيق الكتاب وأثبت الفروق بين النسخ، وأكملت السقط الوارد في نسختي القرويين، والخزانة الملكية وصححت الأخطاء التي وقعت في الطبعة الأولى، من نسخة الإسكوريال، ومن الضروري اعتماد النسخ الثلاث في تحقيق الكتاب لأن في كل منها سقطاً وأخطاء وتحتاج إلى إكمال وتصحيح من النسخ الأخرى.

وإني أبارك جهود الأخ عبد المجيد تركي في تحقيقه للكتاب والذي أرشدنا إلى نسخة الإسكوريال وقد استفدنا من قراءته للكتاب في طبعتنا الثانية له علماً بأني قدمت الكتاب للطبعة الأولى بمؤسسة الرسالة عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م قبل صدور الطبعة الأولى لكتابه بعام تقريباً وتأخر صدوره فيها أربعة أعوام.

عملنا في تحقيق الكتاب وإخراجه:

١- حققت نصّ الكتاب على النسخ الثلاث التي أمكننا العثور عليها، وهي نسخ جيدة تكفي لتصحيح نسخة الكتاب وخصوصاً نسخة الأصل وس.

وقد قابلت النسخ الثلاث وأثبتُّ الفروق بينها في الهامش وأكملتُ السقط وصححت الأخطاء وقد أشرت إلى ذلك في مواضعه، ولم أُشِرْ إلى ما يرجع إلى صيغة الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، التي جاءت في نسخة (م) على طريقة العلماء المتقدّمين كما ذكرنا على عكس نسخة الأصل، وكذلك لم أُشِرْ إلى الفرق الذي يرجع إلى قواعد الإملاء وطريقته.

٢- صحّحت ألفاظ النص التي وردت مخالفة لقواعد الرسم، وكتبتها على قواعد الرسم المتعارف عليها اليوم.

٣- أحلتُ المسائل الأصولية الواردة في الكتاب على أهم المصادر التي تناولتها، وحققت الأقوال التي يذكرها الباجي في المسألة، ونسبتها إلى أصحابها في حالة عدم نسبتها من قِبله، وذكرت من ذهب إليها من علماء الفقه والأصول ممن جاؤوا بعد الباجي أيضاً وذكرت أو أشرت إلى الأقوال الأخرى الواردة في المسألة. وكذلك صحَّحْت بعض الأقوال المنسوبة خطأ إلى بعض الأئمّة، وبيّنت القول الصحيح المنقول عنه في الكتب المعتمدة، وأضفت لفظة باب أو فصل في مواضع قليلة تقتضي إضافتها ووضعتها بين معقوفين.

٤- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها.

٥- خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من كتب السنة المعتمدة. وكذلك آثار الصحابة.

٦- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب ترجمة مختصرة تعرف بهم.

٧- خرَّجت الأشعار التي استشهد بها المؤلف.

٨- عرَّفْتُ بالكتب والأماكن والقبائل والفِرَق الواردة في الكتاب.

هذا وقد بذلت قصارى جهدي من أجل الوصول إلى الأفضل خدمة للدين والعلم، ولا أدَّعي الكمال.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وينفعني به يوم العرض عليه، والحمد لله أولاً وآخراً.

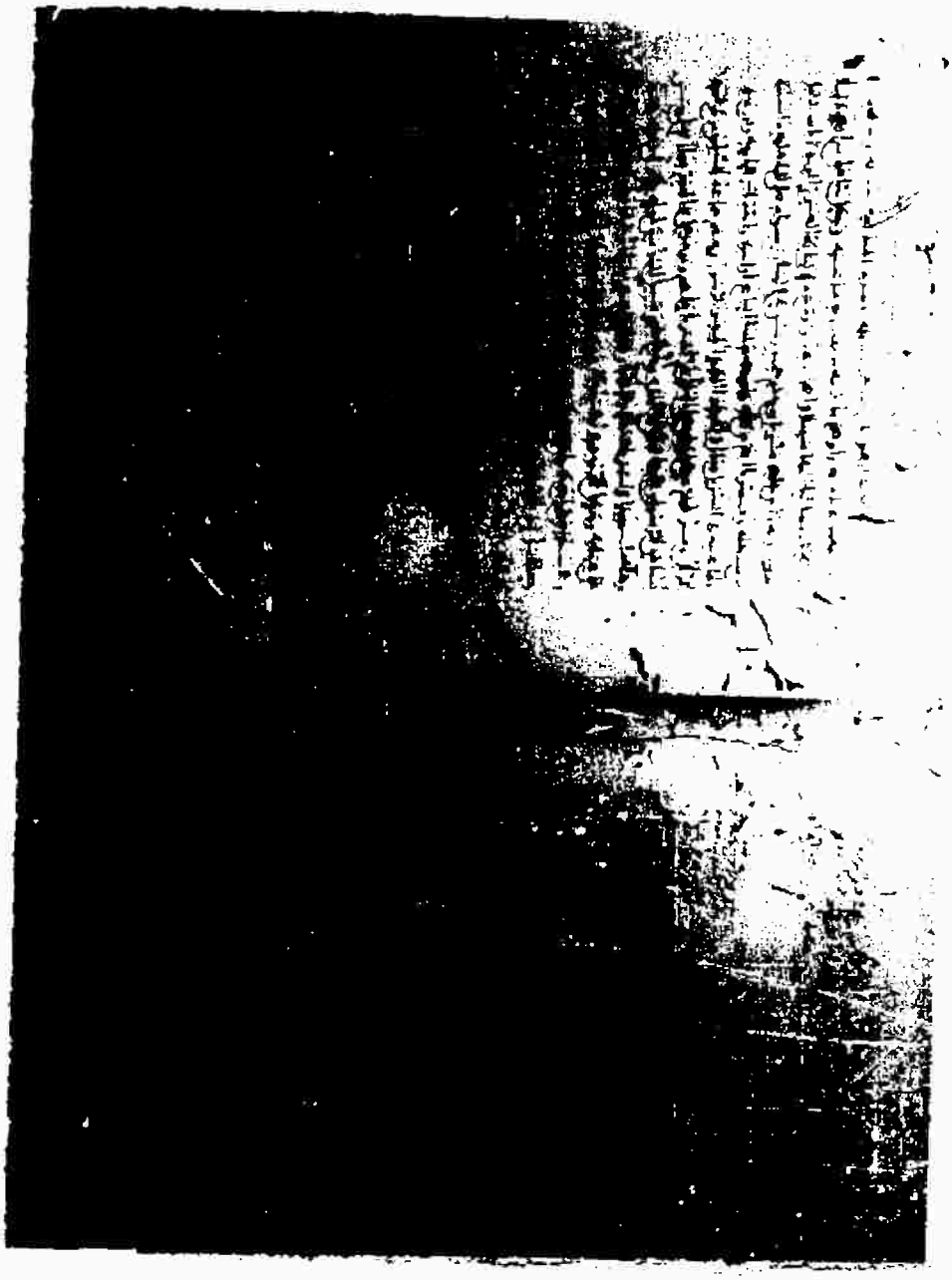

الورقة الأولى من نسخة خزانة القرويين ـ فاس

(الأصل)

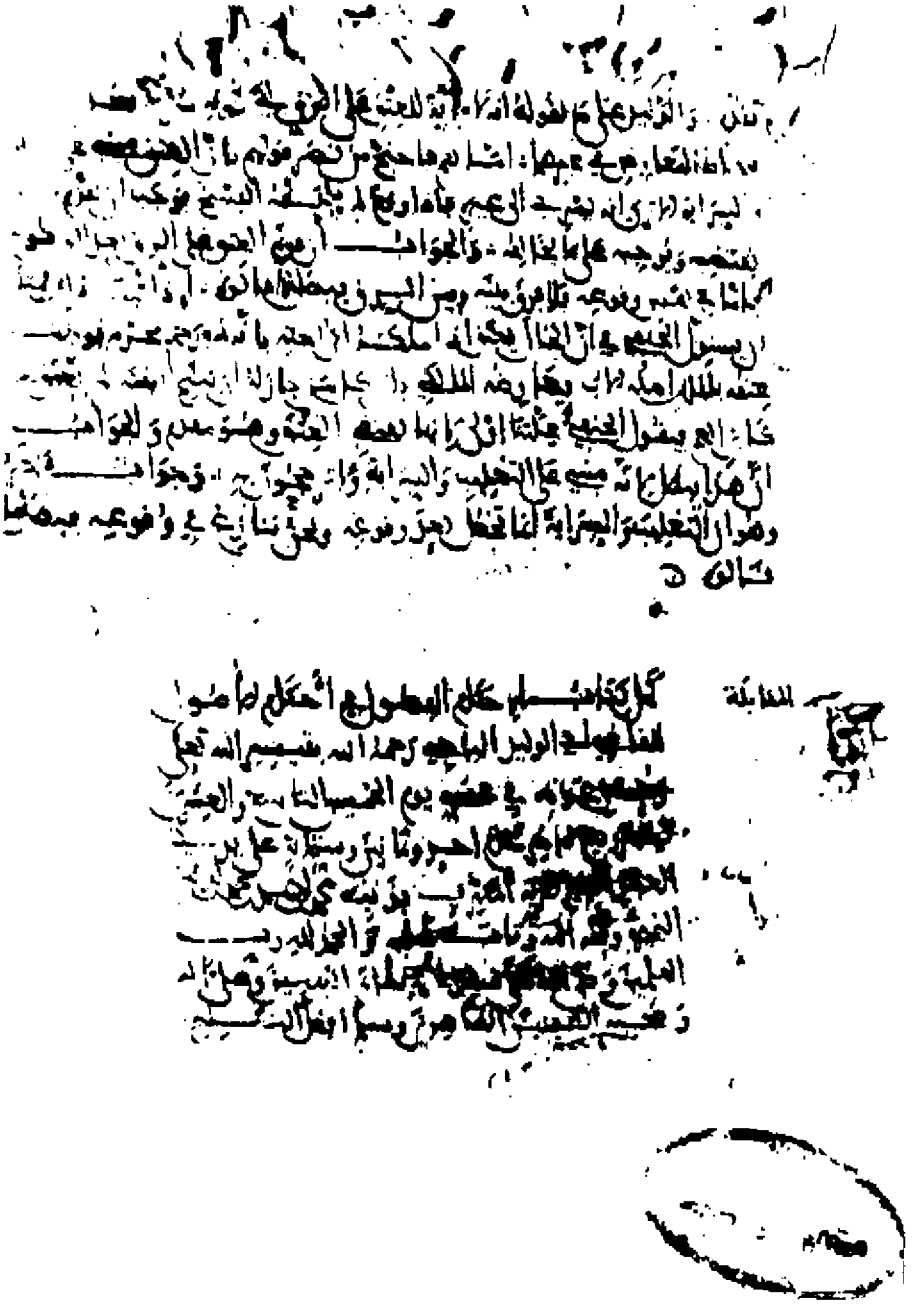

الورقة الأخيرة من نسخة خزانة القرويين ـ فاس

(الأصل)

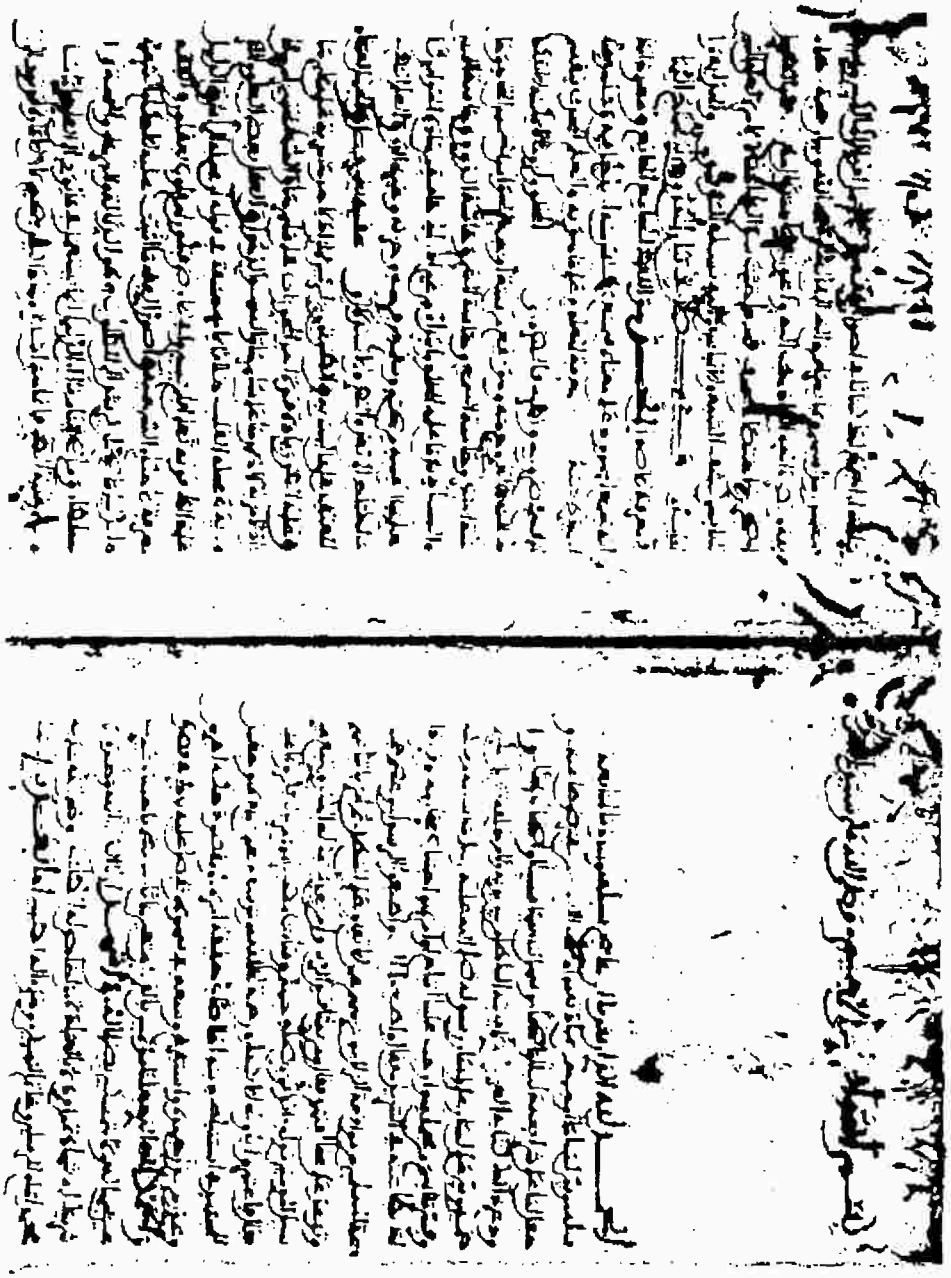

الورقة الأولى والثانية من نسخة خزانة الملكية ـ الرباط

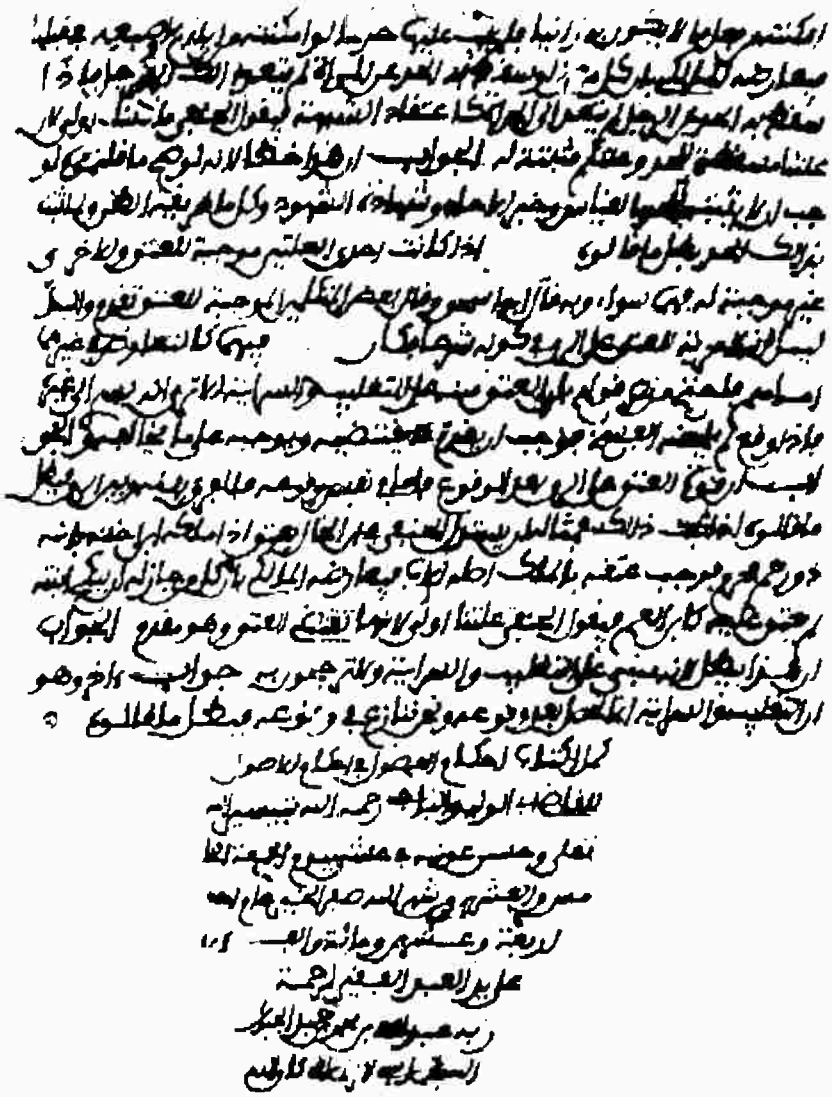

الورقة الأخيرة من نسخة خزانة الملكية ـ الرباط

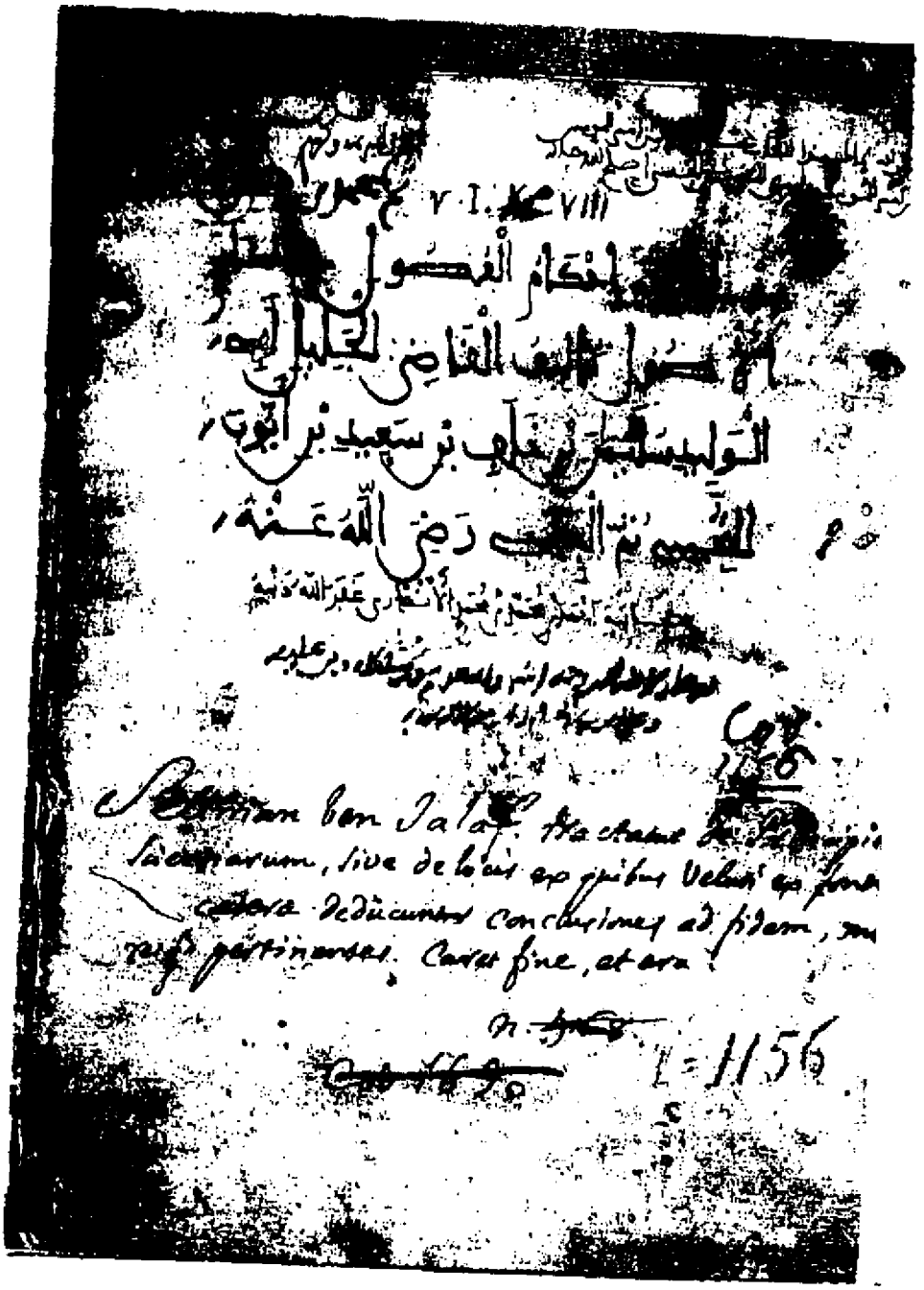

صفحة العنوان من نسخة الأسكوريال

(س)

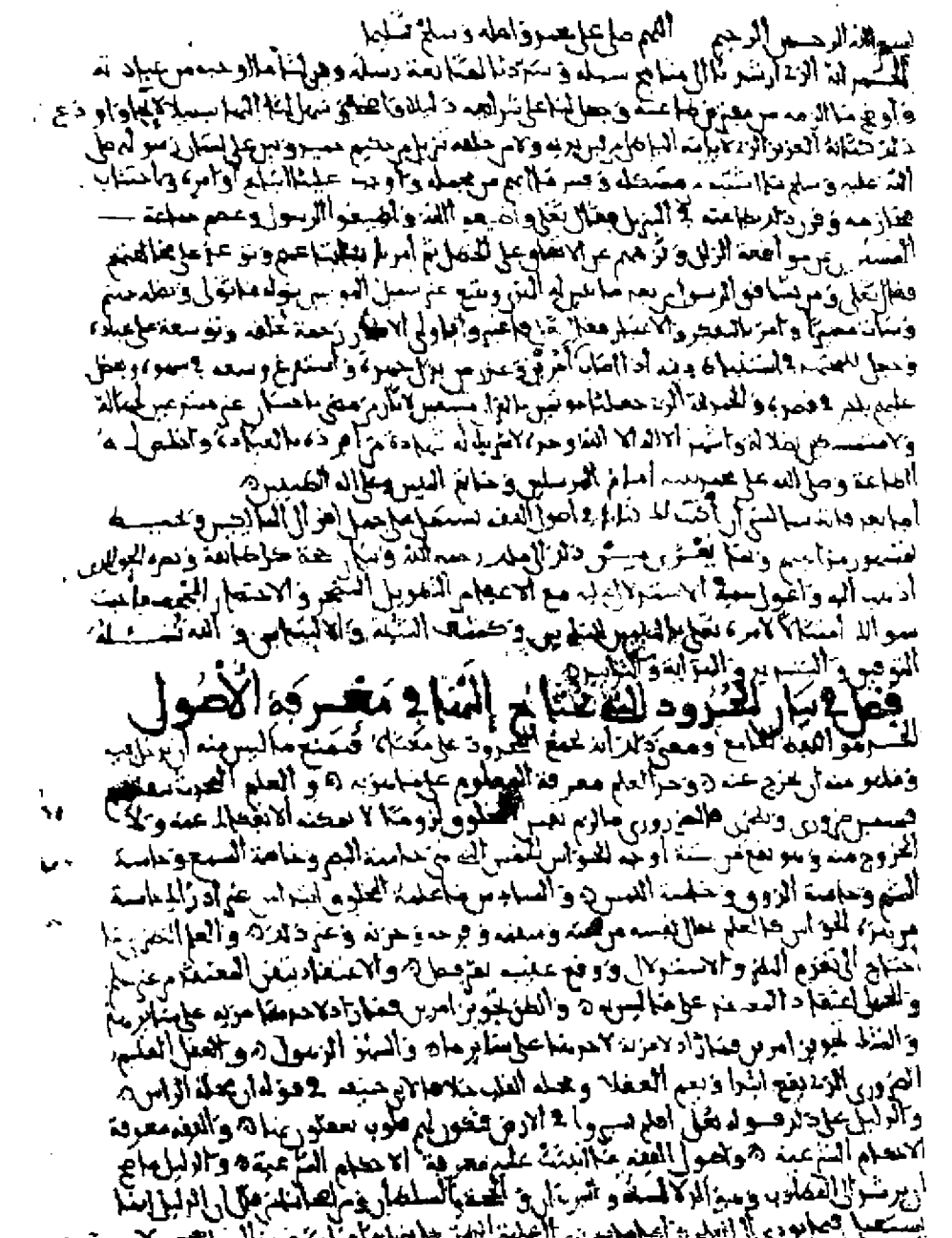

الصفحة الأولى من نسخة الاسكوريال

الصفحة الأخيرة من نسخة الاسكوريال

(س)